النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الشمالي

نحو سياسة التعليم الصناعي

لمراسل الاداب في دمشق

*

حين جلا العثمانيون عن هذه البلاد وكانت في امس الحاجة الى التنظيم وتأكيد شيئين : ١ ـ عروبتها ـ ٢ ـ ارادة العيش المشترك بين ابنائها على مختلف نزعاتهم . لذلك عمل المسؤولون على انشاء مدارس .. مدارس من كل نمط ولون ...

لم يكن يهم كيف تكون هذه المدارس بمقدار مايهم ان يكون في كل منطقة مدرسة . وقد سارت اكثر الحكومات على هذه السياسة حتى كان في الاقليم الشمالي عام الجلاء « ١٩٤٥ » مايقرب من ثمانين مدرسة وبعد الجلاء .. ايام الحكم الوطني رغم الاضطرابات والهزات التي عانتها البلاد من انقلابات وتضارب الاحزاب فقد اضطرت كل الحكومات المتعاقبة تحت ضغط الاهالي ان تسير على سياسة التوسع في التعليم حتى صار عدد المدارس الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ « ٢١٢ » مدرسة وقفز هذا العدد الى ٢٨٦ مدرسة ثانية في سنة ١٩٥٨ . وقد رافق هذا النمو العددي في التعليم الثانوي نمو عددي اخر في التعليم الجامعي ففقز عدد طلاب الجامعة من ٢٤٢٤ طالبا سنة ١٩٤٨ الى ٤٩٨٥ طالبا سنة ١٩٥٤ .

وكانت حاجة البلاد الى الموظفين اهم اسباب انشاء الجامعة فقد اسست كلية الطب وكلية الحقوق اولا ثم كليتا الاداب والعلوم لاعداد مدرسي التعليم الثانوي ، وكانت غاية التعليم الثانوي تنشئة طبقة متعلمة تصلح للوظائف الصغيرة واعداد هذه الطبقة للدراسات العالية . واتسع التعليم الثانوي والجامعي ذلك الاتساع الهائل وتطورت البلاد وتطورت حاجاتها وتطور المجتمع ومع ذلك فلم تتطور اهداف التعليم ولا مناهجه ولا برامجه لتتلاءم وشروط الحياة الجديدة .. فما يزال التعليم النظري طاغيا اذ ان المدرسة الثانوية لا تعرف الا فرعين من فروع التعليم : ادبي وعلمي .. لقد حصل في لمنهاج اكثر من اربع تعديلات في السنوات الثلاث الماضية ومع ذلك لم تتحسن السياسة التربوية لان كل التعديلات السابقة هي ترميم لنظام عتيق بال . فالدولة قد اخذت فوق كفايتها من الموظفين بل استطيع ان اجزم بان وضع حملة الشهادات قد اخذ يشكل ازمة، فهم يتزايدون كل عام بينما تقل امكانيات التوظيف بشكل ظاهر . وقد اصبح وضع الطبقة المتوسطة التي تحترم العلم وتطمح الى رفع مستوى ابنائها ، وضعا محرجا تجاه سياسة التعليم النظري ، فانت ترى الطالب يائسا قبل ان يدخل الجامعة . انه يتساءل : ليس امامي سوى الاداب والحقوق فايهما اجدى ؟ والحق ان مستقبله في كف عفريت .

اما اذا كان من الفرع العلمي فليس امامه سوى الطب او كلية العلوم.. وهذه الاخيرة انشئت لتخريج اساتذة علوم الا ان حاجات المجتمع المتزايد قد افسحت لطلابها فرصا ذهبية واتاحت لهم ان يخدموا بلادهم في مختلف الحقول العلمية البسيطة .. ومن ان اتجاه الطلاب الثانويين يميل اكثره نحو الفرع العلمي ومع ان حاجة البلاد تشتد اليهم فان كلية العلوم لم تتوسع ولم تتجاوب مع هذه الموجة الطاغية بل ان موقفها من امال الجيل الطالع ومن متطلبات التطور الصناعي لموقف يدعو الى الاسف ولا يقع اكثر العبء في ذلك الا على ميزانيتها الضئيلة التي اضطرت المسؤولين ـ حرصا على مستوى التعليم فيها ـ ان يسدوا الابواب في وجوه الطلاب بان يرفعوا معدل علامات القبول الى حدود عالية جدا . وهذا الحل ليس في صالح الكلية ولا غيرها ، في حين ان كلية الحقوق مثلا قد واجهت كثرة الطلاب بانشاء فروع حديثة فيها ، فاضيفت كلية التجارة الى كلية الحقوق وكلية التربية الى كلية الاداب . وعلى كل حال فان هذه الاجراءات لم تعد تحل اية مشكلة اذ ان المسؤولين لم يقدموا على قلب سياسة التعليم وتبني اهداف جديدة حتى الان .

يجب ان يكون الهدف الجديد للتربية والتعليم تخرج عمال اختصاصيين للمصانع والصناعات الحديثة والبدء بذلك منذ المرحلة المتوسطة بل والابتدائية . ان الاقليم الشمالي قد عرف مشاريع الخمس سنوات والسير حسب سياسة مخططة مرسومة ، بعد قيام الوحدة ، ونرجو ان يشمل التخطيط الصناعي الجديد مناهج التعليم ويكون البدء بانشاء مدارس متوسطة للصناعات منذ العام القادم على غرار مدارس « البوليتكنيك » في اوروبا ، كما يرفق ذلك باحداث كليات للكهرباء ، والميكانيك فنستغني عن ايفاد البعثات الى البلاد الاجنبية ونوفر على طلابنا غير المقبولين مشقة السفر على حسابهم الى البلاد الاجنبية ففي المانيا الغربية وحدها اكثر من خمسمائة طالب سوري في مختلف الفروع العلمية ، ولا نضيع جهود طلاب العلوم بتحويلهم الى كليتي الاداب او الحقوق بل نفسح المجال لامكانياتهم العملية كي تستفيد منهما بلادنا عوضا عن استيراد خبراء اجانب .

واجمع النقاد على تشييعها الى المقر الاخير ، وعلى انها مضجرة مملة طوال ثلاث ساعات .

ولما كان النجاح قد جعل من اوسبورن صبيا مدللا ، فقد قابل هذا النقد بروح سيئة جدا ، فراح يهاجم النقاد ويقول ان ليس فيهم واحد جدير بان يفهم مسرحيته، بل هاجم الحضور ايضا وقال ان هتافاتهم المعادية في الحفلة الاولى تدل على جهلهم وعدم فهمهم التام لعمله ..

ولكن « ليست هناك غيمة لا تحمل الفضة » كما يقول المثل البريطاني الذي يمكن تطبيقه هنا : فان الضجة التي قامت حول افلاس هذه المسرحية في الحفلات الاولى قد ايقظت فضول الجمهور ، فاذا هو يحاصر نوافذ التذاكر ويقبل اقبالا منقطع النظير على مشاهدة المسرحية التي تثير هذه الضجة كلها !